



علمنة (عولمة) اللغة الاجتماعية والتشارك اللغوي

جدلية معقدة بين علمنة اللغة أو عولمة اللغة وبين مدى ارتباطها بالهوية اللغوية والاجتماعية والثقافية معاً، لتصبح اللغة ذات طابع أيديولوجي واحد عبر تحقيق المشاركة في الحركات الحضارية والثقافية، لتقف هذه اللغة في انسجام فعّال وتآلف إيجابي مع كل التحولات الراهنة في عالم التكنولوجيا والتطور العلمي.

إنّ السماح بولوج المفردات غير العربية يؤدي-أحياناً- إلى إحداث متغيرات في هوية الثقافة العربية والإسلامية-لأنّ العلمنة تعالت وثباتها وقفزاتها نحو معترك الحياة الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية، متجاوزة بهذا حدود الزمان والمكان، والحدود الطبيعية والتاريخية والسياسية المصطنعة، فأصبحت واقعاً مفروضاً علينا واصبحت تداعياتها ضرورية في الحياة اللغوية فيما يُنجز الآن من نهضة علمية وتكنولوجية حادة وفعّالة.

مصطلح العلمنة من منظور لغوي

تخلو المعاجم التراثية والحديثة على حدّ سواء من مصطلح العلمنة أو العولمة، وما نجده هو مفردات واشتقاقات تصب في معنى يتقارب مع توجهات هذا المصطلح، فالعلمنة أو العولمة مشتقة من الفعل (عَلَمَنَ) أو (عَوَّلَمَ) والأول منها على وزن (فَعَلَ)، والثاني على وزن (فَوَعَلَ)، أو من الصيغة الصرفية (فَوَعَلَة)، وكلها تدل على معاني التحول في الأشياء إلى صور أُخرى، وعلى الرغم من هذا المدلول اللغوي غير أنّ هذا اللفظ أو الاشتقاق تحدده مسارات متشعبة، لأنّ العلمنة أو العولمة اليوم مفهوم شمولي تتمحور حوله اتجاهات كثيرة، منها: ثقافية وفلسفية وفكرية أيديولوجية وعلمية، وكلها تصب في توصيف المتغيرات والتحولات الطارئة على الأشياء ضمن حركات التغيرات المتواصلة في عالم التكنولوجيا والعلوم.

اليوم لفظة(علمنة أو عولمة) تشير في كتابات ومدونات المفكرين والأدباء والباحثين والأكاديميين إلى كل ما هو عالمي أو كوني، حتى أصبحت ظاهرة إنسانية بأبعادها المرتبطة بالتطورات في العالم أو الكون ، فالعلمنة أو العولمة هي إضفاء الطابع العالمي على الأشياء أو الأمور التي ارتبطت بالتحول والتغيير.

تعريف المصطلح من منظور حديث

يرى بعض المحدثين أن المراد بهذا المصطلح هو ((تعميم نمط حضاري وأيديولوجي وثقافي واقتصادي وسياسي واحد على كافة شعوب العالم))^(١)، وقريب من ذلك تصريح ريمون الطحان بقوله: ((توحيد انشطتها-يقصد الأرض- الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراف))^(٢)، أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فاختر لهذا المصطلح معنى ((جعل الشيء-أيا كان هذا الشيء- عالمياً، أو اكسابه صفة العالمية))^(٣).

هذه الآراء تتفق كلها على أن العلمنة أو العولمة جاءت بوصفها نتيجة حتمية لما اصطنعه الإنسان من وسائل التواصل الاجتماعية وانفتاح مسالك الشبكة العنكبوتية والمعلوماتية على الأفق العالمي أجمع.

العلمنة(العولمة) والثقافة اللغوية العربية

(علمنة اللغة) مصطلح مركب من مفردتين: الأولى علمن وهي بمعنى العالمية، والثانية اللغة، وهذا المركب له وظيفة اجتماعية تركز نحو تفشي اللغة وانتشارها ضمن الأفراد وداخل المجموعات اللغوية.

(١) العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقييم، جيلاني: ١١

(٢) اللغة العربية وتحديات العصر، ريمون الطحان: ٣٢

(٣) العولمة: طبيعتها وتحدياتها، بكار عبد الكريم: ٤٤

وقد تباينت رؤى المفكرين والباحثين حول ضرورة علمنة العربية فكانوا بين مؤيد ومعارض.

فمن أيدّ هذه الظاهرة وسمح لها بالتغلغل في لغتنا العربية عدّها حقيقة ثابتة وواقعة حتمية لا بدّ منها لأنها قد فرضتها أساليب الحياة الجديدة المنفتحة بفعل التقدم والتطور العلمي العالمي، فهي مقترنة بالتحوّلات الحضارية والثقافية، وهذا يعني ضرورة تعميم الاستعمالات اللغوية المشتركة الرائجة في المجتمعات لما لذلك من دور مهم وواقعي في تفعيل التقارب والتواصل الاجتماعي وبناء علاقات اجتماعية قوامها اللغة المشتركة مما يعمق هذا بدوره الترابط بين الشعوب والمجتمعات مهما بُعدت.

إنّ نظر هؤلاء المؤيدين إلى أنّ العلمنة أو العولمة ضرورة حياتية وحضارية ومكسب إنساني وثقافي قيمته الاتجاهية نحو التقدم، وإذا ما رفضنا هذا الاندماج العالمي فإننا - عندئذٍ - سنكون متخلفين عن الركب العلمي العالمي، ونصبح منعزلين عن التواصل الاجتماعي.

العالمي بكل مظاهره ومتخلفين عن الثورة المعلوماتية الهائلة، مما قد يجعلنا في سبات وتقوقع لا مثيل لهما ، لأنّ هذه الظاهرة صناعة انسانية غايتها الاتحاد وتبني المتشابهات والتمثالات في سلوكيات مجتمعية موحدة.

أما الراضون فعندهم أنّ عولمة اللغة يفقدها خصوصياتها التعبيرية والأدبية، لتصبح لغة استعمالية مدمجة، حيث تلغى فيها صفة التفرد والانتماء، وتهيمن عليها الغرائب اللغوية والمفردات غير الدقيقة في الاستعمال والدلالات.

اللغة بوصفها نسقاً رمزياً قائماً على ارتباط علامتي الدال بالمدلول، فضلاً عن أنها نسق فكري وثقافي واجتماعي، هذا النسق بتعدديته وتبايناته سوف يتأثر بالعولمة

ويؤثر فيها، منظوراً إلى ذلك في سياق التحولات العلمية الجارية حالياً، فاللغة أولاً تكشف لنا عن حقيقة العولمة وابعادها وثوابتها ومتغيراتها وتداعياتها، والعولمة بدورها لا تنهض إلا عندما تعبر اللغة عن أدواتها، فاللغة تحتضن العولمة فتكون أدواتها في التعبير والتواصل والتخاطب، بها يتفاهم الجنس البشري وبها يتواصل، فالعولمة تأخذ مسمياتها الواسعة وتنتشر عبر نقشي اللغة بين جماعات المتكلمين، حتى يُصار الأمر إلى الاندماج اللغوي أو التشارك اللغوي في بوتقة العولمة، وهذا معناه أنه يمكن توجيه ثقافة العولمة باللغة، بما فيها من قيم وأفكار وثقافات تخص اللغة في منظورها الاجتماعي، وهو ما يتمثل اليوم بوسائل اللغة مثل منصات التواصل الاجتماعي التي عززت عولمة اللغة من جهة، واجتماعية اللغة من جهة أخرى.

إذن يمكن تشخيص علمنة اللغة الاجتماعية والتشارك اللغوي فيها على مستويين:

الأول: مستوى صاعد (إيجابي): حيث يسير المنحى اللغوي الاجتماعي نحو الأعلى بناء على استثمار خاصية التبادل اللغوي بين الشعوب والمجتمعات، أو عندما تتمركز بؤر التفاهم والتواصل حول لغة مختارة، كما يحدث اليوم حيث اللغة الانكليزية هي المهيمن اللغوي الثقافي العالمي الذي طغى على أقطاب التواصل الاجتماعي، والحياد عنه سيؤدي إلى جمود الفكر وتحجر العقل وعدم مواكبة التطور.

الثاني: مستوى نازل (سلبي): يرى بعض المفكرين أن العولمة تشق عصا اللغة المتينة، فتصبح ازدواجية في اللغة الواحدة، تفقدها نكهتها واصالتها وانتماءها، فالعربية الفصحى هي اللغة الرسمية والأدبية ولكن العولمة جعلت مشتركات لغوية كثيرة من مفردات وتراكيب وعبارات تقطن إلى جوارها وتلتحم بهيكلها لتصبح في بعض الاحيان جزءاً مكملها كما في المفردات والتعبيرات الخاصة بالأدوية

والأجهزة الإلكترونية الحديثة وبعض المسميات الخاصة بالتطلعات الفكرية والأيدولوجية مثل الامبريالية ونحوها فضلاً عن المفردات الغزيرة التي طغت على اللهجات التي هي لغة الاستعمال اليومي.

إنّ هذه المدخلات اللغوية العالمية الغربية تؤدي باللغة إلى الانحسار والتقهقر وفسح المجال لسيطرة ما هو عالمي عليها إذ إنّ علمنة العربية قد تؤدي إلى تزعزع البنى الاجتماعية وتخلخل البنى الفكرية، وقد تؤثر هذه الازدواجية الثلاثية (الفصحى واللهجات والعولمة) على البناء الاجتماعية فتعدد الانتماءات اللغوية ومن ثم تتعدد الهوية الثقافية والاجتماعية ويلغى-عندئذ- التتميط اللغوي -الاجتماعي الموحد، القائم على وحدة اللغة فضلاً عن وحدة الدين والثقافة، مما يخلق ذلك تبعية فكرية وثقافية مصدرها اللغة، تساعد في مسخ الذات التاريخية والحضارية واندماجها في المتغير الجديد القادم بفعل العلمنة أو العولمة، والمقصود هنا تلك المصطلحات والألفاظ والجمل التي تصدع هيكل اللغة وركائزها.

فهل أنت من مؤيدي العلمنة أو العولمة في اللغة والتشارك اللغوي العالمي، أم من رافضيها؟ بين رأيك معللاً ما تراه تعليلاً علمياً مختصراً.